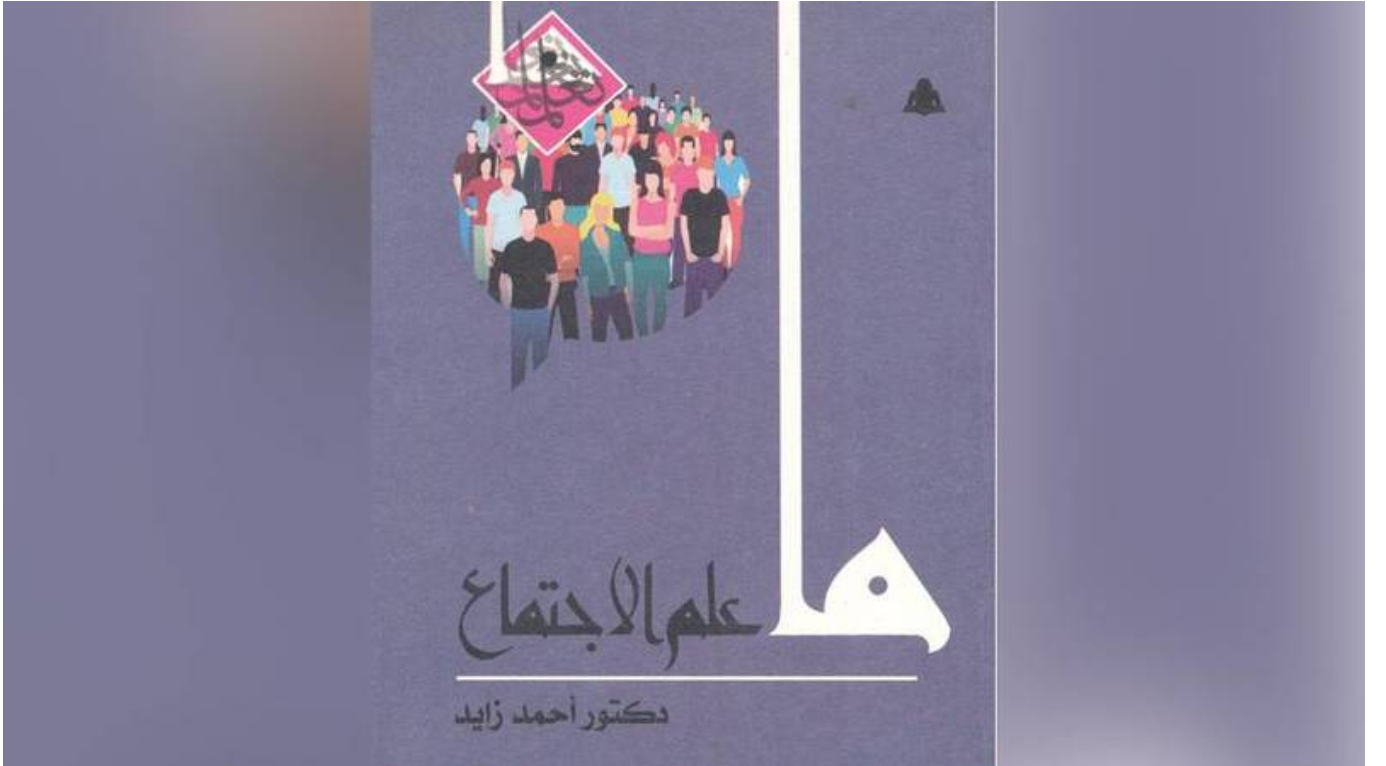


علم الاجتماع.. ابن تحولات الثورة الصناعية



ارتبطت نشأة علم الاجتماع بالتحولات التي مر بها المجتمع الأوروبي بعد الثورة الصناعية، والثورة الفرنسية، فقد أحدثت هذه التحولات تغيرات وتناقضات وصراعات ومشكلات، أدت جميعها إلى التفكير في إمكانية قيام علم اجتماعي جديد، على غرار العلوم الطبيعية، لدراسة هذه التحولات والإسهام في تحديد مسارها، وتشابكت هذه التحولات وتداخلت ما بين تغيرات اجتماعية وسياسية وتجديدات فكرية، يرصد جانباً منها الدكتور أحمد زايد في كتابه التعريفي «ما علم الاجتماع؟».

يوضح الكتاب، أن الفكر السياسي في أوروبا، خاصة في الفترة التي أطلق عليها فترة عصر التنوير ركز على طبيعة الدولة، وطبيعة العلاقة بين الدولة والمجتمع، وحقوق المواطنة، وحدود السلطة للنظم السياسية، وتبلور هذا الفكر في مفهوم «العقد الاجتماعي» الذي يفلسف العلاقة بين الدولة والمجتمع، في ضوء صيغة تعاقدية يتخلى فيها الأفراد عن بعض حقوقهم للدولة، لكي تتمكن من ضبط المجتمع وتنظيمه، فالدولة هي تعبير حي عن الإرادة الجماعية وهي تعمل من أجل المجموع، كسلطة خارجية مستقلة.

يشير الكتاب إلى أن هذا الفكر، الذي قاده هوبز ولوك وروسو، أسهم في تحقيق تقدم على مستوى تأسيس الدولة الحديثة، التي انفصلت عن الكنيسة، وعن المجتمع المدني، وأصبحت دولة ديمقراطية، تقوم على مبدأ الاختيار الحر، وعلى مبدأ المساواة، ومن ناحية أخرى قطعت الفلسفة شوطاً كبيراً في طرح أفكار فلسفية جديدة تختلف اختلافاً واضحاً عن فلسفة العصور الوسطى.

ناقشت هذه الأفكار الفلسفية التي طرحها ديكارت وهيكل، قضايا تدور حول دور العقل في الحياة، وإمكانية إسهام الفكر في تغيير الحياة الاجتماعية وتأسيس الدولة، والدور المهم للعقل في نقد الأفكار، ونقضها، وطرح بدائل جديدة، ومن ناحية أخرى فقد سعى العلم والمنهج العلمي إلى تحقيق هدف الدقة، والموضوعية في التعرف إلى العالم، وإمكانية أن يصبح نمط التفكير العلمي الجديد منهجاً للحياة الجديدة.

وعلى صعيد آخر كان العلم الطبيعي يتطور، ويخطو خطوات كبيرة في طريق الاكتشاف والتجديد العلمي، لقد تطورت الرياضيات وعلى إثرها تطور علم الطبيعة «الفيزياء» وقدمت مكتشفات حول الكون، غيرت من النظرة التقليدية القديمة، وتطورت علوم الكيمياء والحياة، كما تطور علم الفلك، وشكلت العلوم الطبيعية إطاراً جديداً، وضع الأفكار الفلسفية حول المنهج العلمي موضع التنفيذ، وقدم نموذجاً للفكر يختلف جذرياً عن النموذج التقليدي القديم الذي كان يخلط بين العلم والخرافة.